

كتاب الأملالي

للبيدي

طبعة حيدر آباد الدكن

لأبي عبد الله محمد بن العباس البيدي كتاب الأملالي ، وقد طبع في الهند سنة ١٩٤٨ وصدّره بمقدمة الأستاذ « الحبيب عبد الله بن احمد العلوي الحسيني الحضرمي ، مصحح دائرة المعارف العثمانية » أشار صاحب هذه المقدمة الى محتويات الكتاب فقال : احتوى على كثير من غرر القصائد والمقطوعات في المراثي والمدائح وغير ذلك وقد اشتمل على جمل من القصص والأخبار ونبذ كثيرة من طرائف الآثار ونخب من الحكايات الغريبة والظرائف العجيبة ، ولم يخله مؤلفه عن النصائح والمواعظ والحكم ، نظماً وثرأً ٠٠»

ثم أتى على شيء من ترجمة البيدي وترجمة ذريته ثم وصف النسخة التي اعتمد عليها في الطبع وهي نسخة أرسلها المستشرق « كرنكو » . استوقفني في السطر الأول من المقدمة ، لفظ للأستاذ صاحبها جاء في العبارة الآتية :

لأبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد البيدي حفيد جرثومة العائلة

المدوية البيديّة ٠٠٠

ان استعمال الجرثومة في هذا المقام لا اعتراض عليه من حيث اللغة ، فالجرثومة أصل الشيء ، وانما الألفاظ تتحول معانيها من وجه الى وجه على تراخي الأيام ، والجرثومة من جملة الألفاظ التي تحوالت معانيها ، لقد شقيت هذه المادة في أيامنا بعد أن كانت سعيدة في السنين الغابرة ، فالجرثومة في نظر أهل العصر أصبحت أصل الشيء الفاسد ، انما تدل على هذه المخلوقات الخبيثة التي تأكل الأجسام أكلاً فاذا قلنا في فلان انه جرثومة فلا نقول فيه قولاً حسناً ، ومثل هذه المادة في الشقاوة لفظ المصيبة فقد كان هذا اللفظ يدل في الماضي على ملوك كما ورد في شعر حسان ، أو على مجرد الجماعات وأصبح في الحاضر يدل على قطاع الطرق ، وأستعمله صاحب المقدمة على وجهه القديم ، وهذا الاستعمال صحيح كما قلت من حيث اللغة وفاسد من حيث تحولات المعاني .

ولما مضيت في قراءة المقدمة اعترضني العبارة الآتية :

لأبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد البيهقي حفيد جرثومة العائلة العدوية البيهقية أبي محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة البصري البيهقي تشتمل على ترجمته . . . فلم أدر الى أي شيء يرجع الضمير في تشتمل ، فهل سقطت لفظة في هذا المقام ؟ ثم وجدت الأستاذ الحضرمي قد جمع النبذ على نبذ فقال : وقد اشتمل . . . على نبذ كثيرة ، والذي رأيت في القاموس المحيط للفيروزابادي أن النبذ ، بفتح النون وتسكين الباء ، مفرد وهو يجمع على أنباز ومعناه الشيء القليل اليسير ، أما النبذة بفتح النون وضمها فمعناها الناحية : جلس نبذة ، فهل يرى الأستاذ وجهاً لهذا الجمع الذي استعمله .

**

أطرف شيء في أمالي البيهقي هذه الآثار التي نشهد بها آثار العصور والبيئة في الألفاظ والأفكار ، لم تبق لغة العرب على حالها ، وانما تحولت من أواخر القرن الأول بسبب الفتوحات وما أدت اليه .

تقرأ في عصر الردة شعر مقيم بن نويرة التميمي في رثاء أخيه مالك ، وفيه
هذا البيت :

وان تلقه في الشرب لا تلق فاحشاً على الكأس ذا فاذورة متزبما
ثم نظوي عصر الردة فندرك عصر الرشيد فنسمع اسحق الموصلي بنشد :
الكأس بعد الكأس قد تصبي لك الرجل الحلما
وتزين الرأي السفية وتبسط الوجه الشبما
ثم نسمعه بنشد :

إنما دنياي نفسي فاذا تلفت نفسي فلا عاش أحد
ليت ان الشمس بهدي غربت ثم لم تطلع على أهل بلد
وتقتضى كل شيء حسن وتلاشي كل روح وجسد!

فنشهد في هذا كله آثار العصور في اللفظة والتفكير ، يذهب عصر الردة
فيذهب بذهابه لفظ المتزبع وهو المعربد ويذهب لفظ القاذورة وهو الرجل السيء
الخلق ، ثم تأتي ألفاظ الحضرة ومعانيه ، هذا هو الشيء الذي يهمننا في أمالي
اليزيدي وفي غيرها من الأمالي ، فما هذه القصائد التي نطالعها الآن من
شعر عصورنا البعيدة دونت دون شيء من التحليل فاذا جاء عصرنا هذا لزمنا أن
ننظر الى شعرنا غير نظرة المتقدمين ، لزمنا أن نتقلق الى بطون هذا الشعر
فنستخرج منها آثار العصور في انتقال الألفاظ والأفكار من بيوت البادية
الى قصور الحضرة .
